الموسم

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

مجلة الموسم (العدد 14) – 1993 – 1413

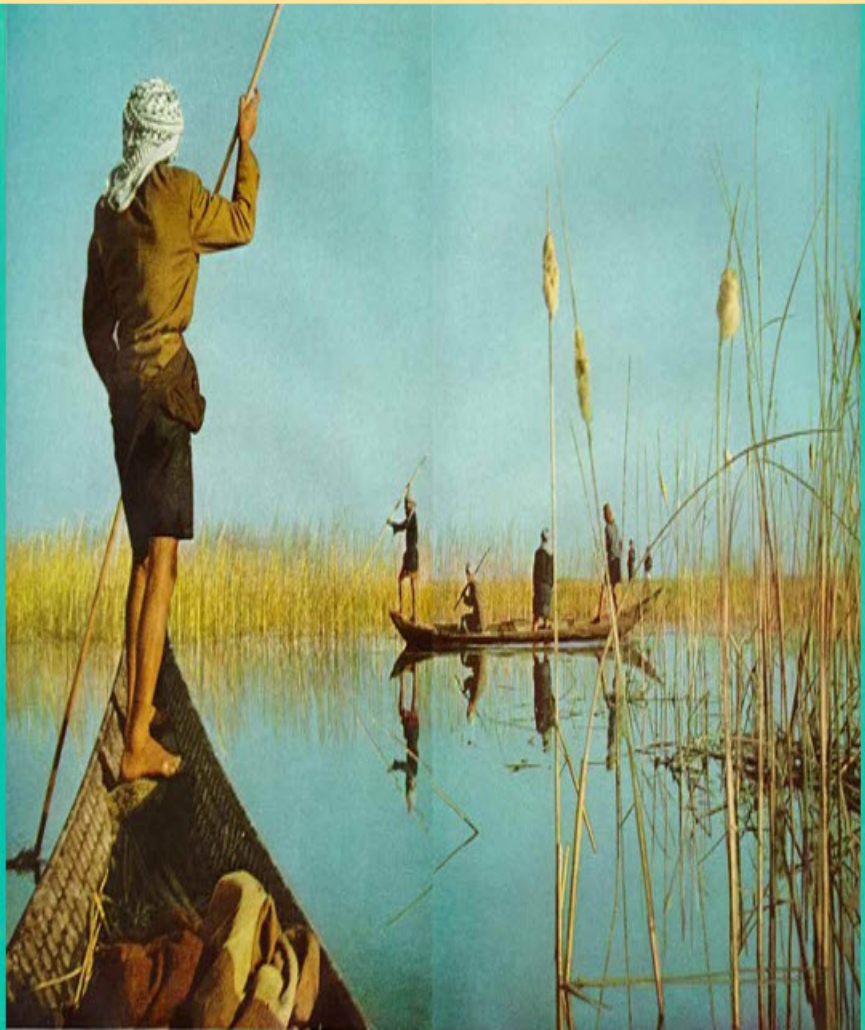

مجلة فصلية محكمة تعنى بالآثار والتراث

صاحبها ورئيس تحريرها

محمد سعيد الطريحي

Shiabooks.net

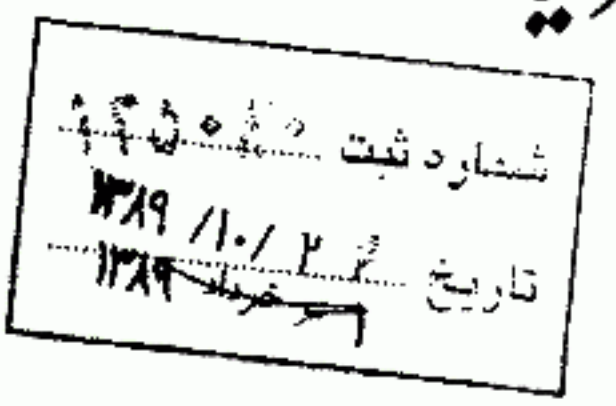

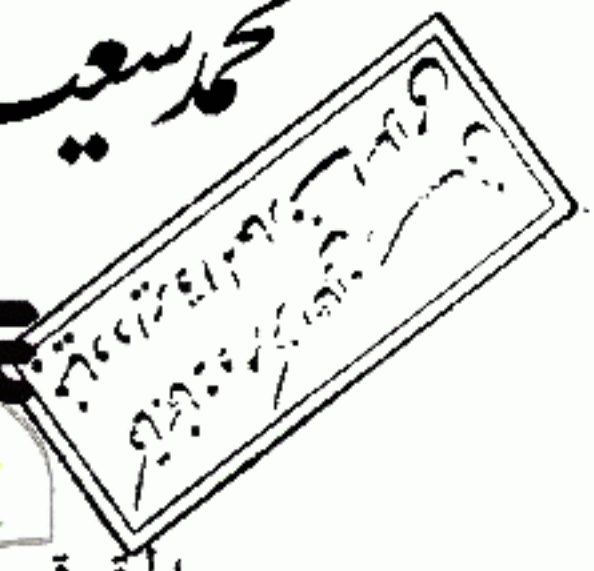

جميع الحقوق محفوظة ومسجلة

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ترسل جميع المراسلات والطلبات بإسم صاحب المجلة الى :

المركز الوثائقي لتراث اهل البيت عليهم السلام

اكاديمية الكوفة

هولندا

AL KUFA HOUSE POST BUS 1113
3260 AC OUD - BEIJRLAND
HOLLAND

الاشتراك السنوي للأفراد ٥٠ $ وللمؤسسات ١٠٠ $.

من أجل حل وطني ـ ديمقراطي شامل لمشكلة الشيعة في العراق

● محمد عبد الجبار
لندن

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

ـ ١ ـ

في ١٩٢٢/١٠/٣ ، كتبت المس بيل في إحدى رسائلها تقول : «إن مشكلة الشيعة ربما كانت اعظم المشاكل في هذه البلاد» . وبعد ٧٣ سنة ، لا نغالي إذا قلنا ان اعظم ما يواجه الدولة العراقية من مشاكل ، هو : الاضطهاد الطائفي النازل على رؤوس الأغلبية العربية الشيعية من ابنائها ، ثم الاضطهاد القومي بحق الاقلية الكردية .

وهي كذلك منذ ان رفض كوكس اقتراح الشيخ خزعل امير المحمرة ، في رسالته المؤرخة في ١٩١٨/١٢/٢٢ ، والذي نص على : «إن تسعة اعشار العراق هم شيعة ، والأمير يجب أن يكون شيعياً» .

ذلك الرفض ـ المشكلة الذي ترتكب عليه لاحقاً ، من بين امور خطيرة كثيرة ، ان لا يتولى رئاسة الوزراء في الدولة العراقية سوى خمسة من الشيعة ، حكموا لفترة تقل عن ٣ سنوات ، من أصل ٣٠ رئيس وزراء تولوا الوزارة ٧٠ مرة ، وحكموا حوالي ٧٠ سنة ، هي عمر هذه الدولة .

واليوم ، حيث يوضع مستقبل العراق كله تحت المجهر ، يكون من الأهمية بمكان تشخيص طبيعة المشكلة الشيعية في العراق . وطبيعة الحل الافضل لها .

ـ ٢ ـ

● إن مشكلة الشيعة في العراق ، ليست مشكلة اقلية مهضومة الحقوق في مواجهة أكثرية متسلطة . فالشيعة ليسوا اقلية ، فهم يشكلون ٨٧٪ من عرب العراق . فهم أغلبية في الاغلبية . والآخرون ، تومیات ومذاهب ، اقليات .

وإذا كان الامر كذلك ، فليس من المعقول ان تطالب الاكثرية بحقوقها ، لأن هذه المطالبة سوف تواجه سؤالاً مركزياً ، هو : ممن تطالب ؟ من يمنح الاكثرية حقوقها ؟ ان الاغلبية لا تطالب بحقوقها ، انها هي التي تضمن للاقليات الاخرى حقوقها .

● كما أن مشكلة الشيعة ليست مشكلة طائفية ، بالمعنى اللبناني لها . فالشيعة العراقيون لا يخوضون صراعاً طائفياً ضد الطوائف الاخرى ، مثل حرب الدروز والموارنة عام ١٨٦٠ ، أو حرب المسلمين والمسيحيين عام ١٩٧٥ . هذا رغم أن واقع الحال هو أن الشيعة يعانون من اضطهاد طائفي على مستوى بنية الدولة ، وعلى المستوى السياسي والثقافي والاداري .

ولهذا فليس «الحل الطائفي» هو المطلوب لمواجهة مشكلة الشيعة . إن تقاسم السلطة على اساس الموازنات الطائفية حسب الطريقة اللبنانية (رئيس الجمهورية ماروني ، ورئيس الوزراء سني ، ورئيس مجلس النواب شيعي) ليس هو الحل . ليس المطلوب الانتقال من الاضطهاد الطائفي الى الطائفية السياسية .

- ٣ -

يكمن جوهر مشكلة الشيعة في طبيعة الدولة العراقية ونظام تركيبها . وليست مشكلة الشيعة إلا تعبيراً صارخاً عن ازمة هذه الدولة . وانا هنا استخدم كلمة «أزمة ، للاشارة الى مشكلة حادة لا تملك الدولة العراقية ضمن نظام بنائها واشتغالها الحالي ادوات حلها .

إن أزمة الدولة العراقية تكمن في ظروف نشأتها .

فالدولة اما أن تكون نتاج الامة ، وتعبيراً سياسياً لها ، وممثلاً لمصالح وتحالفات قواتها وتكويناتها البشرية .

أو أن تكون الدولة صانعة لامتها ، تكونها وفق نظريتها السياسية ، وبرنامجها الاجتماعي والاقتصادي .

والأمران لا ينطبقان على علاقة الدولة العراقية بمجتمعها .

فليست هذه الدولة تعبيراً صادقاً عن المجتمع الذي تحكمه ، ولم تنشأ استجابة لصيرورة تطوره التاريخي .

كما أن هذه الدولة عجزت عن ان تخلق مجتمعها الخاص .

إن الدولة العراقية جهاز مستورد ، تم استيراده طبقاً لمواصفات المستورد ، وهو دولة بريطانيا المحتلة للعراق آنذاك ، وليس طبقاً لمواصفات المجتمع العراقي . ولم يكن خير الدين الزركلي مخطئاً حين وصف عرش الدولة العراقية ، قبل ان تقوم ، بأنه «عرش مصنوع في لندن» .

وكالجسم الغريب المزروع من جسد الانسان ، بقيت الدولة العراقية جسماً غريباً مزروعاً في جسم المجتمع العراقي . لم تندمج معه ، ولم يندمج معها ، ولم يأتلفا ، فبقيا غريبين عن بعضهما البعض .

وليس أمام دولة غريبة عن مجتمعها ، الا أن تكون دكتاتورية . وقمعية :

● دكتاتورية ، بمعنى قيام الحكم على اساس احتكار اقلية من الناس السلطة ، وتحكمها برقاب الاكثرية . . التي يتم الغاء دورها في بنية الدولة ، وهياكلها الرئيسية ، وسياساتها العامة ، وقراراتها المركزية .

وتطورت دكتاتورية الدولة العراقية حتى وصلت ذروتها على يد صدام حسين .

● قمعية ، تعتمد مبدأ استخدام القوة في ضمان ديمومة حكمها وسيطرتها واسكات معارضيها ومخالفيها ، حتى لو كانوا هم الاكثرية . وليس غريباً ، إذن ، ان يتخذ قرار إنشاء الجيش العراقي في مؤتمر المستعمرات البريطانية المعقود في القاهرة في ١٢ آذار ١٩٢١ ، وفي قرار كوكس بتاريخ ٢١/٥/٢٦ ، اي قبل قيام الدولة ذاتها ، وليس في ٦ كانون الثاني عام ١٩٢١ ، كما هو شائع . وليس غريباً ايضاً ان تكون أولى مهمات الجيش العراقي هي تأمين سلطة الدولة الغربية على رعاياها ، من خلال قمع انتفاضاتهم المتواصلة ضدها .

ومرّة اخرى نقول ان قمعية الدولة العراقية وصلت ذروتها على يد صدام حسين ، فكان اكبر انجاز لجيش الدولة بعد هزيمته في حرب الكويت ، هو قمع الانتفاضة الشعبية الشاملة في الشمال والجنوب ، والتي عبر من خلالها المجتمع الاهلي عن رفضه للدولة الغريبة .

ـ ٤ ـ

لهذا نرى ان حل مشكلة الشيعة في العراق ينبغي ان ينطلق من هذه الزاوية ، ليكون حلاً شاملاً ، وطنياً وديمقراطياً .

وبعبارة اصرح اقول : ان على الشيعة ان يطرحوا ـ باعتبارهم الاكثرية ـ حلاً وطنياً وديمقراطياً شاملاً لازمة الدولة العراقية ، يتجاوز اطاراتها وادوات اشتغالها الحالية ، ليعيد بناء دولة عراقية جديدة ، تحقق الانسجام الداخلي ، البنيوي والوظيفي ، مع مجتمعها ، ذي الطبيعة التعددية ، قومياً ، ومذهبياً ، وسياسياً .

وقد يكون ـ إذا سمح لنا المقام ـ من معالم هذا الحل :

أولاً : ـ اعتماد الآليات الديمقراطية في حركة الدولة والمجتمع ، وفي العلاقة بينهما .

ثانياً : ـ اعتماد مبدأ اللامركزية الواسعة ، وربما الفيدرالية ، في بناء هيكل الدولة الاداري ، مع اعادة رسم الخارطة الادارية للبلاد ، بما يحقق المقاصد الجوهرية من اللامركزية الواسعة او الفيدرالية .

ثالثاً : ـ احترام ثقافات واعراف التكوينات البشرية للمجتمعات العراقية ، قومياً ومذهبياً ، مع ابراز القواسم المشتركة فيها ، لتعزيز الوحدة الوطنية للدولة والمجتمع .

رابعاً : ـ المساواة ، في الحقوق والواجبات ، بين المواطنين ، بلا تمييز على اساس عرقي أو مذهبي أو حزبي .

خامساً : ـ رفع كل اشكال الحيف والظلم الذي مارسته الدولة ضد المواطنين العراقيين ، على اختلاف انتماءاتهم المذهبية والقومية ، بما في ذلك الاكراد والشيعة .

ـ ٥ ـ

إذا كانت الملكية تشكل مرحلة الدولة العراقية الاولى ، والجمهورية تشكل الدولة العراقية الثانية ، فإن التطورات الداخلية في العراق ، تفرض الشروع ببناء الدولة العراقية الثالثة ، على أساس الحل الوطني والديمقراطي الشامل ، الذي نأمل أن يكون سياسيو الشيعة ومثقفوهم رُوّاده وقادته .